١٩ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

قد يزوج أهل الفتاة فتاتهم لمن يشاؤون دون موافقتها إذا كانت قاصرة . ويمكنها أن تختار زوجها إذا كانت بالغة ، وتعين من ينوب عنها في ترتيب الزواج وعقد العقد . والعادة أن تجتهد الخاطبة وقريبات القاصرة في الحصول على موافقتها . وكثيراً ما يعارض الأب في تزويج ابنته بمن ليس مثله من المهنة أو التجارة ، أو في تزويج الصغرى قبل الكبرى[1] . ويقدر أن يستطيع العريس اختلاس نظرة من عروسه قبل أن تصبح في حوزته إلا إذا كانت من الطبقة السفلى فيسهل عليه أن يراها

وعند ما تشرع المرأة في الزواج تعين وكيلاً ينوب عنها في عقد العقد . وهذا التوكيل واجب إذا كانت الفتاة قاصرة ويكون أبوها حينئذ وكيلها وفي حالة وفاته يكون أدنى الأقارب الذكور أو الوصي المختار أو المعين . أما إذا كانت بالغة فتعين هي وكيلها ، أو تعقد الزواج بنفسها وذلك نادر

وبعد أن يختار الرجل عروسه طبقاً لبيان قريباته أو الخاطبة، وبعد المعدات الأولى السابق ذكرها يقابل مع بعض أصدقائه وكيل العروس ويحصل منه على الموافقة ، ثم يسأله عن مقدار المهر إذا كانت العروس قاصرة

ولا بد من دفع المهر كما ذكرت في فصل سابق . ويقدر المهر على العموم بالريال باعتبار كل تعيين فضة . والريال نقد اسمي لا وجود له . ويبلغ المهر عادة إذا كان دخل العروسين متوسطاً ألف ريال ، وقد لا يزيد على نصف هذا المبلغ . ويقدر الأغنياء المهر بالكيس وهو خمسمائة قرش ، ويحددون المبلغ إلى عشرة أكياس أو أكثر . هذا في حالة العذراء ؛ أما مهر الثيب فأقل بكثير . وكثيراً ما يحدث بعض المساومة في تحديد المهر كأي عملية مالية أخرى . فإذا طلب الوكيل ألف ريال يحتمل أن يعرض الطرف الآخر ستمائة ثم ينتهي الأمر بعد الزيادة والنقصان إلى ثمانمائة ريال . ويشترط دفع ثلثي المهر حالاً قبل العقد ، ويدفع الثلث الأخير إلى الزوجة عند الطلاق بغير إرادتها أو وفاة الزوج

(١) أنظر التكوين ٢٩ — ٢٦ « فقال لابان لا يفعل هكذا في مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل البكر »

لتلك الأدواء أيسر مطلباً وأقرب منالاً لو أنه تحقق لدينا أن غالبية الصحف البريطانية أو حتى أقلها النابهة قد تولى أمرها وقام بتحريرها رجال ممن قدروا قيمة الحرية قدرها فعرفوا أنها أسمى ما يتملكه البشر من متاع الحياة .

لقد حان الوقت لأن ترفع ذلك الغشاء البراق الخادع الذي يغشى ثوب مدنيتنا « الديمقراطية » ونعمل على أن تظهر حقيقة ما انطوى عليه من لحمة نسجه . وآن الأوان ولا سيما الصحافة البريطانية والرجال الذين يتولون أمرها لاختبار خيوط هذا الثوب ليعرفوا ما إذا كان قد نسج نسجاً متيناً أصيلاً في تلك الأيام الخالية أو أنه في وضعه الحاضر وفي حياكته تعوزه متانة الغزل ، ويعيبه أنه صنع من خيوط ثياب قديمة عفا رسمها ، وافتقدت قوتها .

وقد يقتضي بقاء المؤسسات الحرة والأوضاع السياسية الحرية الفرد أن تعجل بتجربتها وبحثها ، وهي كما سماها « إيرل بالفور » « شريان حياة » الهيئات السياسية بأجمعها . وليس بينها من شيء له من قوة الدلالة على ما اشتملت عليه من معانيها ومبانيها أكثر مما للصحافة الحرة منها ، الصحافة التي تحرر من قوامة القيود التجارية أو الصناعية أو المالية مثلما تحرر من الخضوع لأية سلطة سياسية كائنة ما كانت . ولعله ما زال هنالك متسع من الوقت أمام صحافتنا وملاكها لأن يتدبروا أمرهم ، ويذكروا المواثيق التي تربطهم بالحرية وتربط الحرية بهم فيدللوا عن طريق رعاية هذه المواثيق والإخلاص لها أنهم قد ظفروا بالحل الصحيح لتلك المسألة التي تعتبر بحق « حجر الزاوية من المدينة الحديثة »

(المنصورة) زينب العاصي محمد

ويتم الاتفاق على هذا الأمر بقراءة الحاضرين الفاتحة . ثم يحدد يوم قريب ، قد يكون بعد اليوم التالى ، لدفع مقدم المهر والاحتفال بعقد الزواج الذى يسمى عقد النكاح [1] . ويسمى انجاز العقد كتب الكتاب ، ولكن قلما توجد وثيقة مكتوبة تثبت الزواج إلا إذا كان العريس بسبب انتقاله إلى مكان آخر يخشى أن يضطر إلى إثبات الزواج حيث لا يتيسر له إحضار شاهدى العقد . وقد يتم عقد الزواج حالما يفتهى الطرفان من الاتفاق على المهر ، ولكن كثيراً ما يعقد بعد يوم أو يومين من ذلك الوقت . ويذهب العريس فى اليوم المحدد مع صديقين أو ثلاثة إلى منزل العروس قرب الظهر عادة فيستقبلهم وكيل العروس وبعض أصدقائه . ويجب عقد الزواج بشهادة شاهدين مسلمين إلا إذا استحال ذلك . ويقرأ جميع الحاضرين الفاتحة ، ثم يدفع العريس مقدم المهر ويعقد بعد ذلك العقد بكل بساطة . فيجلس العريس على الأرض أمام وكيل العروس وكلاهما واضع إحدى ركبتيه على الأرض ، ثم يمسك كل منهما يمنى الآخر ويرفع إبهامه ويضغط به على إبهام الثانى . ويتولى تلقين الطرفين صيغة العقد بعض الفقهاء . فيضع على اليدين المتماسكتين منديلاً ، ثم يستهل العقد عادة بخطبة لا تخرج عن بعض الإرشادات والصلوات وبعض الآيات والأحاديث التى تشير إلى فضل الزواج ومزاياه . ثم يطلب من الوكيل أن يقول : « أخطب لك (أو أزوجك) ابنتى (أو موكلتى) فلانة (ويسمى العروس) العذراء [2] (أو العذراء البالغة) بمهر قدره كذا » ، وقد لا يذكر المهر . ثم يطلب من العريس أن يقول : « أقبل خطبتها (أو زواجها) وآخذها تحت رعايتى وأتكفل بحمايتها ، واشهدوا على ذلك أيها الحاضرون » . ويردد الوكيل قوله هذا على العريس مرة ثانية وثالثة فيجيبه الأخير فى كل مرة بما سبق . وحينئذ يقول كلاهما

(١) من الاعتقاد الشائع فى مصر أن من يعقد زواجه فى شهر محرم يخيب زواجه وتنحل عراه . ولذلك قلما يعقد عقد فى هذا الشهر . ويعتبر شوال أكثر الشهور ملاءمة لذلك

(٢) وإن لم تكن عذراء يعبر عن ذلك بكلمة (ثيب) أو على الأصح ثيب .

« والسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين آمين » ؛ ويعيد الحاضرون قراءة الفاتحة . وليس للخطبة التى تتلى فى هذه المناسبة كلام موضوع أو نظام معين وقد تحذف إطلاقاً . وقد يقبّل العريس (ويندر ذلك إلا إذا كان من الطبقة السفلى) بعد انتهاء العقد أيدى أصدقائه وغيرهم من الحاضرين ؛ ثم يُقدَّم الشربات إليهم ويمكثون حتى تناول الغداء . ويهدى إلى كل منهم منديل مطرز تقدمه عائلة العروس بينما يتناول الفقيه منديلاً مشابهاً تصر فيه قطع صغيرة من النقود الذهبية يقدمه له العريس . وتحدد ليلة الدخلة قبل انصراف الحاضرين . وتلك هى الليلة التى تنتقل فيها العروس إلى منزل العريس حيث يراها لأول مرة

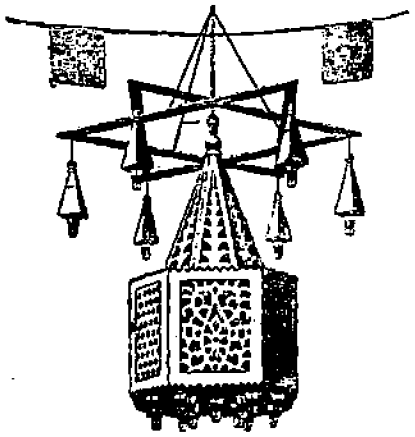

(شكل ٤) تنديل وخلافه معلق احتفالا بعقد زواج

ويمهل العريس عروسه حوالى ثمانية أيام أو عشرة بعد عقد الزواج على العموم ، ويرسل إليها فى أثناء ذلك من حين لآخر بعض الفاكهة والحلوى الخ ، أو يهدى إليها شالاً أو بعض الأشياء الثمينة . وتشتغل عائلة العروس فى الوقت نفسه بإعداد الجهاز . ويصرف مقدم المهر فى شراء الجهاز الذى يصبح ملكاً للعروس ، فإذا طلقت يعاد إليها . وتدفع عائلة العروس مبلغاً أكبر قد يزيد على المهر نفسه فى إعداد الجهاز ، ولذلك لا يمكن القول بحق أن الزوجة تُشترى [1] ؛ ويرسل الجهاز عادة إلى منزل العريس على ظهور الجمال . وكثيراً ما يشمل الجهاز كرسى العمامة الذى سبقت الإشارة إليه ، وكرسى العمامة كبير الحجم بسيط الصنعة ،

(١) وفى الريف مع ذلك يتناول الأب أو الوصى المفترض على العروس المهر ولا يعطى مقابل ذلك شيئا غير الفتاة وبعض الحبوب الخ أحيانا . فيجهز العريس فى هذه الحالة عروسه بكل شىء حتى ملابسها .

إذ يصنع أسفله وظهره من الخاب ، وهو لا يستعمل للجلوس أبداً ، وقد تكون له مظلة . وتوضع العمامة عليه ، وتغطى بقطعة من الحرير السميك ترصع عادة بسلوك ذهبية . وقد يحتوى الجهاز على كرسيين : أحدهما لعمامة الزوج ، والآخر لعمامة الزوجة .

ويستقبل العريس عروسه فى مساء الجمعة أو الإثنين[1] ، ويعتبر يوم الجمعة أسعد الأوقات . فلنقرر إذاً أن العروس تنتقل إلى عريسها مساء الجمعة ، ويومئذ تضاء الشوارع أو الحى الذى يسكنه العريس أثناء الليلتين السابقتين أو قبل ذلك بالشمعدانات والفوانيس ، أو الفوانيس والقناديل الصغيرة ، يعلق بعضها فى حبال تمتد من منزل العريس وعدة منازل أخرى إلى المنازل المقابلة على جانبى الشارع ، وتعلق أيضاً مع القناديل ، أو منفصلة ، رايات حريرية ذات لونين : أحمر وأخضر[2] . ويقام فى منزل العريس أثناء هذه الليالى — وعلى الأخص الليلة الأخيرة التى تسبق عقد الزواج — عدة حفلات . ومن المعتاد فى هذه المناسبات أن يرسل المدعوون والأصدقاء الخاص الهدايا إلى منزل العريس قبل الدعوة بيوم أو يومين : فيرسلون سكراً وبناً وأرزاً وشمعاً أو عسلاً ... وتوضع الهدايا السابقة على صينية نحاسية أو خشبية ، وتغطى بنسيج مطرز أو من الحرير . وتستخدم لتسلية المدعوين فرق موسيقية ومغنيات ومغنون وراقصات ، أو تقام (ختمة) أو (ذكر)[1] . وتقدم العائلات الموسرة إلى الخاطبة و إلى (داية) العائلة و (والبلانة) وظهر العروس — بعد إتمام العقد بيوم أو يومين — قطعة من النسيج الذهبى ، وشالاً كشميرياً ، أو قطعة حريرية مفوفة من نسيج البلك والشنتيان ؛ فتضع هؤلاء النسوة هذه الملابس على الكتف اليسرى ، ويربطن أطرافها معاً على الجانب الأيمن ، ويركبن الخمير وأمامهن طبالان أو أكثر ، ويمررن على صديقات العروس ليدعوهن إلى مرافقتها إلى الحمام ذهاباً وإياباً ، وإلى حضور الحفلات التى تقام بتلك المناسبة . وكلما يمررن على منزل تؤدب لهن مأدبة ، إذ أنهن يعلن عن زيارتهن فى يوم سابق ، وتسمى أولئك : (مُودنات) ، أو على الأصح (مُوذنات) ، وينطقها العامة (مُدّنات) ؛ وقد رأيتهن أحياناً يسرن راجلات ، ولا يتقدمهن الطبالون ، ولكنهن كن يزغردن بدل دق الطبول ...

(يتبع) عبد الله طاهر نور

(١) لقد أخطأ (بركهاردت) بقوله أن يومى الاثنين والخميس ينجز فيهما الحفل الذى يسبق ليلة العقد مباشرة . وكان الواجب أن يذكر يومى الأحد والخميس . وقد ارتكب أيضا بعض الأخطاء عند الكلام على حفلات الزواج عند المصريين فى كتابه الأمثال العربية (ص ١١٢ — ١١٨) ومن الواجب على أن أذكر ذلك وإن كنت أخشى أن تكون شهرة (بركهاردت) فى تحبيب الأشياء سببا فى جعل القارىء يظن أنه على حق فى هذه المواضع . ولكنى أكتب هذا الكلام فى القاهرة وكتاب « بركهاردت » أمامى بعد شدة البحث والحيرة .

(٢) ويسمى القنديل الموضح فى شكل ٤٥ المصنوع من الخشب المدهون أخضر واحمر وابيض وازرق « ثريا » ويسمى الاطار الذى يعلوه والذى يتدلى منه ستة قناديل « خاتم سليمان » وتسمى المجموعة كلها جل قناديل

(١) لا أصف هذه الحفلات هنا لأنى أفردت لها فصلا يتعلق بالحفلات الخاصة . والختمة عبارة عن تلاوة القرآن جميعه ؛ وأما الذكر فهو ترديد اسم الله وصفات التوحيد الخ . وسأتكلم عنهما بالتفصيل فى فصل آخر عند وصف الحفلات الدورية العامة .

الافصاح

المعجم العربى الفذ ، وهو خلاصة وافية للمخصص وغيره من المعجمات ، يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ، ويسعفك باللفظ للمعنى المراد ، يعين العلماء على وضع المصطلحات العربية فى العلوم المختلفة ، ولا يستغنى عنه مترجم ولا أديب ، ٨٠٠ صفحة تقريباً ، طبع دار الكتب ، أشرفت طبعته على النفاد ، ثمنه ٢٥ قرشاً يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :

حسين يوسف موسى — للدرس بالمدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة

عبد الفتاح الصعيدى — رئيس التحرير بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

حكم فى القضية ٥ ٩٦٠ عسكرية الفيوم سنة ٩٤١ ضد محمد السيد خليفة من السراى بحبسه شهرين شغل وغرامه ٣٠٠ قرش صاغ لبيعه ذرة بثمن أزيد من المقرر